العوامل السياسية و دورها في هجرة العرب إلى دارفور

عبد الرزاق محمد علي
كلية الآداب الخمس - جامعة المرقب

فوزي حسن أبو عجيلة
كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار- جامعة المرقب

تمهيد :

تعود هجرات العرب إلى دارفور إلى زمن متقدم، وليس كما يظن بعض المؤرخين إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد، حينما قامت سلطنة دارفور الإسلامية كنتيجة مباشرة لإحدى هذه الهجرات حسب ما قال المؤرخون؛ ذلك أن بعض العرب هاجروا إلى هذا الإقليم قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة زيادة كبيرة بعد القرن الثاني عشر للميلاد ، وصارت سيلاً جارفاً في القرن الرابع عشر للميلاد، عقب سقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية في عام 723هـ / 1323م .

وقد أتت هذه الهجرات إلى هذا الإقليم لأسباب وعوامل متنوعة ، ومن بلدان عديدة ، وعبر مسالك وطرق مختلفة . ولابد من بيان هذه الأمور السياسية؛ حتي نعرف كيف ولماذا كانت هجرة العرب إلى هذا الإقليم المهم من أقاليم السودان ، العوامل التي أدت إلى قدوم الهجرات العربية إلى دارفور وهي كثيرة ومتنوعة ، بعضها يتصل بالعوامل السياسية ، وبعضها الآخر يتصل بعوامل البيئة الطبيعية الخاصة بهذا الإقليم ، وثالثة تتصل بموقع الإقليم وأثره في قدوم هذه الهجرات ، ورابعة تتصل بالتجارة والنشاط التجاري الذي كان له أثره في قدوم كثير من العرب إلى دارفور .

العوامل السياسية التي أدت إلى هجرة العرب إلي دارفور:

العامل الأول :

العلاقة بين عرب مصر وحكامها ، وقد نشأ سوء العلاقة هذا كما هو معروف منذ أن أمر الخليفة العباسي المعتصم بالله واليه على مصر بإسقاط أسماء العرب من الديوان، وقطع العطاء والرواتب والأرزاق عنهم منذ عام 218هـ / 833م (الكندي ، 1987 ، ص 151)، فثار العرب في مصر،

وانتهي الأمر بهزيمتهم وتخليهم عن نفوذهم وسلطانهم لعناصر أخري غير عربية (المصدر السابق ، ص 152 ، 158).

ويورد المقريزي فقرة طويلة تبين هذه الحال ، وتدل على النتائج التي ترتبت عليها فيقول :

((فانقرضت دولة العرب من مصر، وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر واستكثر من العبيد ، وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركي وأربعين ألف أسود من العبيد من ذوى البشرة السمراء ، وسبعة آلاف حرّ مرتزق ... فلما كانت إمارة محمد بن طغج الإخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف . ثم إن الأستاذ أبا المسك كافور الإخشيدي استجلب عدة من السودان في أيام تحكمه بمصر ، فلما تغلب المعز لدين الله الفاطمي على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر ، وفيهم من الروم والصقالبة ... و لما زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن وغيرهم واستجد عسكراً من الأكراد والأتراك خاصة ... أما المماليك فقد اقتصروا على الاتراك)) (- الخطط المقريزية ، 1971 ، ص 168-169)

وهكذا كانت سياسة الحكام منذ المعتصم باستخدام العناصر غير العربية في الجيش ولم يقتصر الأمر علي اختيار جند مصر من غير العرب ، بل إن حكامها أنفسهم صاروا من غير العرب منذ أن عزل عنبسه بن إسحاق الضبي في عام 242 هـ / 856م ، وكان اختيارهم يتم من بين الاتراك الذين يكرهون العرب ويحقدون عليهم (الكندي ، ص158)، وبهذا فقد العرب نفوذهم القديم وعانوا ضيقاً اقتصادياً شديداً بسبب ما فرض عليهم من أتاوات وضرائب مختلفة ابتدعها ابن المدبر والي الخراج في مصر في الفترة من عام 238هـ / 852م إلى عام 253هـ / 867م . وأثارت هذه التدابير المالية الجديدة حفيظة العرب على الأتراك؛ فقاموا بعدة ثورات في أنحاء مختلفة قمعها الأتراك بعنف وقسوة وزجوا بزعماء العرب في السجون وفرضوا عليهم غرامات باهظة(مصطفي سعد ، 1960 ،ص 125) .

وكان لهذا الضغط السياسي والاقتصادي أسوأ الأثر في نفوس العرب ، وبدأت جماعات كثيرة تسعي للرحيل والهجرة ، ولم يكن أمامهم إلا الانسياب جنوباً وغرباً بعيداً عن ضغط الأتراك واستبدادهم بحكم مصر . وحانت الفرصة عندما أعلن أحمد بن طولون الذي أسس الدولة الطولونية التركية في مصر عام 254هـ / 868م عن إعداد حملة حربية تتجه إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة أبي عبد الله ابن عبد الحميد العمري لتأديب ملوك هذه البلاد لاعتدائهم على صعيد مصر ،

فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة (الكندي ،ص168) ،(مصطفي مسعد ، ، ص124).

وعلى ذلك فإن العرب الذين اشتركوا في هذه الحملة، لم تكن أهدافهم الوحيدة مجرد تأديب البجة أو النوبة ، بل كان هدفهم هو البحث عن مهاجر جديدة، تتسع لهم بعد أن ضاقت بهم الحياة في مصر (مصطفي سعد ، ص125).

وخلال عصور التاريخ المختلفة وإلى أن تم القضاء على دولة المماليك في مصر في نهاية العصور الوسطي ، اتبع كثير من العرب هذا الأسلوب، وهو مصاحبة بعض الحملات العسكرية التي كانت تتجه إلى بلاد السودان لتأديب النوبيين والبجة ، إذا ما رفضوا دفع البقط أو إذا ما هددوا حدود مصر الجنوبية وأغاروا على سكانها . والمثال على ذلك هو ما حدث عندما أرسل السلطان المنصور قلاوون حملة على بلاد النوبة عام 686 هـ / 1287 م ؛ فقد ضمت هذه الحملة كثيراً من عربان الديار المصرية من الوجهين القبلي والبحري ، ويحدثنا المقريزي بأن بني هلال على سبيل المثال كانوا ضمن عربان الصعيد الذين اشتركو ا في هذه الحملة ، من القوة والمنعة . والأمثلة علي ذلك كثيرة ، منها ما حدث في عام 339 هـ / 950م من إغارة ملك النوبة علي الواحات ، وما حدث بعد ذلك بخمس سنوات من إغارته على اسوان حيث قام النوبيون في كلتا الغزوتين بقتل الرجال وسبي النساء وحرق البيوت والدور

انظر : الخطط المقريزية ، ج 1 ص 349 ، 343 ، أحمد كاتب

الشونة : مخطوط كاتب الشونة ، ورقة 127 ، بتشر : تاريخ الامة القبطية ، ج2 ص 288 ، 293 ، سيدة الكاشف : مصر في عصر الإخشيدين ، ص 358 ، 359 .

وأن الحملة انقسمت فرقتين ، فرقة اتبعت البر المغربي من النيل ، والأخرى سارت في البر الشرقي (المقريزي ،ج1قسم 3)، (تحقيق محمد زيادة ، 1957 ، ص736،737)

وكان كثير من هؤلاء العربان تحت ضغط المماليك وكراهيتهم لهم يفضلون عدم العودة مع الجيش بعد انتهاء مهمته ، ولذلك ليس ببعيد أن يكون بنو هلال وغيرهم من العرب اتخذوا طريق البر الغربي مع الفرقة الأولى ، ثم تسربوا إلى السودان واستقروا في غربة في كردفان ودارفور (عبد الحميد عابدين. 1961 ، ص 152)، (الشاطر بصيلي ، ص 483). ولذلك فإننا نجد في غرب السودان عدداً من الجماعات تنتسب إلى الهلاليين أو إلى أبي زيد الهلالي ، منهم التنجور والفور والرزيقات وهلالية البرقد والزيادية (عبد المجيد عابدين ، ص 153)، وكل هؤلاء يعشون في دارفور .

وإلى هذا التاريخ بل ومنذ حملة أحمد بن طولون و التي تعود إلى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد يمكن نرجع بداية هجرات العرب إلى دارفور.

و إذا كان الأتراك في عهد الطولونيين (254- 292هـ / 868 - 905 م) و الإخشيديين (323 - 358 هـ / 935 - 969 م) قد ضغطوا على العرب في مصر حتى أكرهوهم على النزوح والهجرة إلى هذه البلاد منذ ذلك العصر المبكر ، فان من جاء من بعدهم من الفاطميين (358- 567 هـ / 969- 1172 م) فعلوا نفس الشيء . فقد شهد عصر المنتصر بالله الفاطمي (427 - 487 هـ / 1036 - 1085 م) على وجه الخصوص عِداءً متبادلاً وعنيفاً بين حكومة مصر و البدو النازحين إلى الصعيد ، بعد أن اشتد الأذى الذى ألحقه هؤلاء البدو بالفلاحين المصرين، و بعد أن ضايقوا حكام الصعيد (الحسن الوزان 1983، ص 238)، مما أدى إلى سوء العلاقة بين الفاطميين وبين القبائل العربية إلى حد بعيد ، ورأى الفاطميون ضرورة التخلص من بعض هذه القبائل ، و خاصة بنى هلال و بنى سليم الذين كانوا قد استقدموهم من بلاد الحجاز و وطنوهم في صعيد مصر، فدفعوهم الى بلاد المغرب للقضاء على بنى زيرى الصنهاجيين الذين كانوا قد أعلنوا التمرد و العصيان على حكم الفاطميين (حسن محمود ،،ص 290).

و في نفس الوقت مارس الفاطميون ضغوطهم على من بقى بالصعيد منهم ومن القبائل العربية الأخرى ، فاندفعت بعض بطونهم إلى بلاد النوبة بعد أن أغراها النجاح الذي حققه إخوانهم من المهاجرين السابقين ، وتحقيقاً لما يريدونه من حياة الاستقرار والاستقلال بعيداً عن تضييق سلطات مصر واستبدادها بهم (المرجع السابق ، ص 290).

و يفيدنا ابن سليم الأسواني الذى زار بلاد النوبة أواخر القرن العاشر للميلاد بأن تيار الهجرة العربية قد اشتد إلى هذه البلاد قبل عصر المستنصر بالله الفاطمي ، حيث إن المنطقة الممتدة من أسوان حتى الشلال الثالث كان العرب يتصرفون فيها تصرف المُلّاك و أصحاب البلاد ، لا تصرف المهاجرين اللاجئين ، وأن اضطراب العلاقات السياسية بين مصر و النوبة لم يحل دون هذه الهجرات ، وأن المسلمين كانوا هناك متمتعين بكامل استقلالهم ، وأنهم اندمجوا في حياة الناس، و تعلموا لغتهم ، وفهموا عاداتهم وتقاليدهم المرجع السابق ، نفس الصفحة

ولاشك أن وجود العرب في بلاد النوبة على هذا النحو ، وخاصة بعد أن أقاموا إمارة عربية نوبية تعرف باسم إمارة بنى كنز ، اتخذت أسوان مركزاً لها ، وامتد نفوذها جنوباً في أرض مريس واعترفت بها الخلافة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله بعد أن ساعد أمير ربيعة الذي أقام هذه الإمارة في القضاء على أحد الثائرين ضد هذا الخليفة والمعروف باسم أبى ركوة ، مما جعل الخليفة

الحاكم بأمر الله يمنح هذا الأمير لقب كنز الدولة الذى توارثه أبناؤه ، وصار علماً عليهم وعلى إمارتهم فيما بعد (المرجع السابق ، ص 290 - 291).

نقول إن وجود العرب على هذا النحو في بلاد النوبة والسودان سوف يقودنا إلى نتيجتين : النتيجة الأولى : هي التمهيد لانهيار مملكة مقرة النوبية المسيحية ، والنتيجة الثانية : نزوح بعض هؤلاء العرب الذين استقروا في النوبة الى دارفور و استقرارهم فيها . ذلك أن بلاد النوبة بعد أن غلب عليها العرب صارت إحدى المواطن الأساسية التي انطلقت منها الهجرات العربية إلى شرق السودان غربها .

وفي عصر سلاطين المماليك (923- 648هـ / 1250 - 1517 م) اشتد العداء بينهم وبين عرب مصر إلى حد كبير ، بعد أن أصبح ينظر للعرب فيها على أنهم عنصر غير مرغوب في بقائه ، وإلى أنهم عناصر خارجة على القانون (مصطفى مسعد ،1959 ص78)، وهو بطبيعة الحال قانون الترك في فرض النفوذ والسيطرة المطلقة على كل عناصر السكان والاستبداد بحكم البلاد استبداداً مطلقا .

وعلى ذلك لم يتعاطف مع العرب في مصر أحد ، فقد نظر إليهم الأقباط على أنهم دخلاء ومزعجين ، ونظر إليهم سلاطين المماليك باستخفاف ، لأنهم لم يكونوا مفيدين عسكرياً إذا ما قورنت قدراتهم العسكرية والقتالية بالقوات العسكرية المدربة المنظمة، التي كوّنها هؤلاء السلاطين من بنى جنسهم من الترك ، كما أنهم كدافعي ضرائب كانوا مراوغين ومماطلين ، وكتابعين كانوا مصدراً دائماً للإزعاج والفتن ، فقد كانوا يثورون في أحيان، رغم أنهم كانوا لا ينجحون في هذه الثورات (رجب عبد الحليم ، 1991، ص 56).

وكانت النتيجة أن جرّد عليهم سلاطين المماليك الكثير من الحملات ليس لتأديبهم فقط ، بل أيضاً للقضاء عليهم و إبادتهم تماماً . من ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام 713هـ/ 1313 م حينما (بلغه ما نزل بالصعيد من عبث العربان و فسادهم في نواحيه و إضرارهم بالسابلة ، فسرح العسكر في كل ناحية منه ، و أخذ الهلاك منهم مأخذه و استباحهم من كل ناحية ، وشرد بهم من خلفهم) (ابن خلدون ، بدون تاريخ ، ص 427).

وكذلك ما فعله السلطان نفسه من إرسال حملة أخرى بعد ذلك بثلاثة أعوام، على رأسها ستة أمراء بالإضافة إلى أمير قوص ، بهدف مطاردة العربان، الذين عبثوا بالأمن في برية الصعيد ، واعتدوا على رسول كان قد قدم من اليمن متجهاً إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة ، انتقاماً من والي قوص الذى كان قد اعتقل أحد أمرائهم ، فأرسل السلطان حملة للقضاء على هؤلاء العربان و

مطاردتهم حيث كانوا من البرية ، وانتهت هذه المطاردة إلى عيذاب، ثم إلى سواكن التي خرج صاحبها معلناً الطاعة ، فترك الجيش سواكن، و توجه خلف العربان في البرية ،واتبعوا آثارهم، حتى وصلوا نهر عطبرة، واجتازوه خلفهم، حتى وصلوا إلى التاكة (كسلا) بالسودان. ومن هنا توجهوا إلى جهة الأبواب من بلاد النوبة ، ومنها إلى دنقلة، ثم إلى أسوان فالقاهرة، فوصلوها في جمادى الآخرة ، من 717 هـ / 1317 (النويرى ، ورقة 96 ، 97)،(الشاطر بصيلى ، ص488).

و قد بلغ تمرد العربان في صعيد مصر مبلغاً كبيراً بعد ذلك في عام 754هـ /1353م ، حتى إن الملك صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خرج بنفسه على رأس جيشه للقضاء على تمرد هؤلاء العربان، الذين كانوا قد خرجوا قاطبة عن الطاعة بزعامة ابن الأحدب شيخ قبيلة عرك، التي تنتمى إلى جهينة ، والذي التفّتْ حول قبائل العربان، واشتد نفوذه حتى نادى بالسلطنة لنفسه ، وتحالفت معه جهينة وبنو كلب، وعرب منفلوط ، وعرب المراغة، فيما عرف بالحلف العركي ، وأخذت هذه القبائل في نهب الزروع والأموال في بلاد الصعيد ؛ تحدياً منها للسلطان المملوكي ، فخرج إليهم السلطان بنفسه على رأس قواته ، ودارت بين الفرقتين معارك شرسة، قُتل فيها خلقٌ كثير، وهُزِمَ العرب في النهاية، و قُتل الكثير منهم، وطوردوا إلى بلاد السودان ، ولم يبقَ عربيٌّ بصعيد مصر، وأمر السلطان الأمير شيخو أن يطارد ابن الأحدب إلى آخر بلاد الزنج ، ولم يستطع أن يقضى عليه (ابن خلدون ص450)،(ابن اياس 1963 ، ص550،551)،(عبد المجيد عابدين ، ص130- 131).

و هكذا ترى أن السلاطين قد اشتدوا في مطاردة العرب؛ حتى إنهم تتبعوهم إلى بلاد الزنج ، وقد بلغ عداؤهم للعرب في مصر أنهم كانوا يشترطون على ملوك النوبة المسيحية ألاّ يتركوا أحداً من العربان في بلادهم . وقد حدث هذا الأمر في عهد السلطان الظاهر بيبرس في عام 674 هـ / 1275 م ، عندما أرسل هذا السلطان حملة غزت مملكة مقرة ببلاد النوبة، بعد اعتداء ملكها على جنوب مصر ،وأخضعت هذه الحملة النوبيين، وعينت عليهم ملكاً بعد أن فرّ ملكها المتمرد ، و أبرمت مع الملك الجديد معاهدة نصّتْ على تبعية مملكة مقرة للسلطنة المملوكية ، و جعلت للسلطات المملوكية حق تعيين و عزل ملوك مقرة، ونصّتْ على الشرط المشار إليه ، فقد تعهد ملك مقرة الجديد المدعو شكندة للسلطان الظاهر بيبرس بطرد العربان من بلاده ، من وجده منهم يقوم بإرساله إلى الباب السلطاني بالقاهرة (النويرى ورقة 109)،(المقريزى ص 974).

كما بلغ عداء المماليك لعربان مصر أنهم رفضوا أن يتولى أمير عربيٌّ حكم مملكة مقرة النوبية، بعد أن اعتلى أحد الأمراء العرب المعروفين في بلاد النوبة باسم بنى كنز عرش هذه المملكة بمساعدة اهلة من بنى كنز و من انحاز اليه من القبائل العربية المقيمة في بلاد النوبة ، ومن النوبيين

الذين ثاروا في عام 717 هـ / 1317 م على ملكهم المدعو عبد الله برشنبو، المعين من قبل السلطان المملوكى في مصر ، وقاموا بتنصيب كنز الدولة ملكاً عليهم (المصدر السابق ، ج3 ورقة 96،95) (مصطفى مسعد ، ص 168- 169).

غير أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون رفض الاعتراف بهذا الأمير ملكاً على مقرة ، لأن تولية ملك عربي حكم النوبة يؤدى] في نظره إلى زوال نفوذ السلطنة المملوكية على هذه البلاد ؛ ولهذا أطلق السلطان سراج أحد الأمراء النوبيين وكان خالاً لكنز الدولة ، و حرضه على قتل ابن أخته وتولي الحكم بدلاً منه ، ولكن هذا الخال النوبى فشل في مهمته بسبب موته ، و تمكن كنز الدولة من السيطرة على البلاد، وممارسة حقوقه كملك لها في عام 717 هـ / 1317 م .

ولم يهنأ للسلطان بال حتى أرسل إلى بلاد النوبه حملة ثانية في عام 723 هـ /1323 م لخلع كنز الدولة ، ولكنه فشل في ذلك، وتم انتقال حكم مملكة مقرة النوبية من أيدى ملوكها المسيحيين إلى أيدى بنى كنز منذ ذلك التاريخ المصدر و المراجع السابقين ، و نفس الصفحات.

و نتيجة لهذا العداء المستمر والتصاعد من جانب سلاطين المماليك للعربان في مصر و بلاد النوبة ، التف هؤلاء العربان حول بعضهم في شكل أحلاف تقف في وجه التيار التركي، الذى ارتكز على العناصر المجلوبة إلى مصر من الأتراك ومن لف لفيفهم . و كان هدف هذه الأحلاف هو أن تمنع العربان من اضطهاد المماليك لهم، و تعمل في نفس الوقت على الوقوف أمام الحملات المملوكية المتصاعدة التي تجري بكثرة للقضاء على عربان الصعيد و عربان بلاد النوبة (عبد المجيد عابدين ، ص145).

و مع بداية فترة الأحلاف تبدأ ألمع فترة في تاريخ الهجرات العربية إلى جنوب وادى النيل ، ولسنا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن بقايا الأحلاف التي لجأت إلى السودان كانت هي العمود الفقري الذي التفّتْ حوله المجموعات العربية التي نراها حتى اليوم في السودان (عبد المجيد عابدين ، ص 145).

وعلى سبيل المثال فإن عرب لخم وجذام الذين أبعدوا عن مساكنهم في عهود الفاطميين و الأيوبيين ، يبدو أنهم تحالفوا فيما بينهم ومع غيرهم من القبائل الأخرى المضطهدة ، و اتخذوا أطراف مصر موطناً لهم، ولا سيما الأطراف الغربية ، ثم تدفقوا إلى غرب السودان في عصر سلاطين المماليك الذين اضطهدوهم وجردوا عليهم وعلى غيرهم من العرب حملات عديدة أشرنا إلى بعضها ، ووصل بعض هؤلاء العرب الفارين من بطش المماليك إلى بلاد الكانم والبرنو ؛ مما أفزع سلطانها فاشتكاهم إلى سلطان المماليك في مصر (الظاهر القلقشندى : ، بدون تاريخ ، ص 117).

ويظهر أن بعض هذه الجماعات تدفقت شرقاً حوالى سنة 794هـ / 1391 م حتى بلغت شمالي دارفور، وقضت على حكم الزغاوة هناك . ولكننا لا نجد اسم جذام في القبائل التي تعيش اليوم في دارفور أو في بلاد السودان بصفة عامة . و يبدو أن هذه القبيلة و أحلافها من لخم وغيرهم قد اندمجوا في قبائل البقارة و الكبابيش، الذين يمثلون الغالبية من العرب في دارفور وكردفان في الوقت الحاضر ، و الذين ينتسبون اليوم إلى جهينة ، وإن كانوا في الواقع أحلافاً تجمعت على فترات، و تألفت من بطون عدة ، لعل أهمها جذام و جهينة وهوارة وبنو هلال ، وأحلاف هؤلاء وأولئك من فزارة وسليم ولخم و بلى وغيرهم (عبد المجيد عابدين ،ص 146- 147).

و قد تدفق عرب الحلف الجهنى على بلاد السودان، و توغلوا فيه بعيداً ، حتى وصلوا الحبشة في الشرق، و دارفور في الغرب ، بل و فيما وراء ذلك؛ حتى بلاد الكانم والبرنو ، وذلك في القرن الرابع عشر للميلاد ، و ذلك لأن الأحوال في مصر كانت تدفع قبائل العرب من البدو إلى مغادرتها إلى أقاليم لا يكونون فيها تابعين لأي قوة غريبة عنهم ، أو لأي قوة غير عربية تريد فرض نفوذها وسلطانها عليهم

العامل الثاني :

من الأسباب السياسية الأخرى التي دفعت ببعض عربان مصر إلى النزوح إلى دارفور وبلاد السودان عامة، هي قيام النزاع بين بعض القبائل العربية في مصر ، و تدخل المماليك في هذا النزاع، الذى كان يقوم في الغالب بسبب التنافس على الزعامة ، مما كان يدفع بالفريق المهزوم إلى الهجرة إلى أرض جديدة، يستطيع أن يمارس فيها حياته في حرية، بعيداً عن سيطرة المنتصرين والمتغلبين عليهم .

و المثال على ذلك ما حدث من نزاع الصعيد بين الحلف العركي و حلف الهلاليين في عام 749 هـ / 1348 م ، حيث انتهز المماليك الفرصة، وتدخلوا في هذا النزاع إلى جانب بنى هلال ، و قتل في ذلك الصراع الذى دار بين الفريقين عدد كبير من المماليك و أمرائهم ، مما جعل المماليك يشنون حرباً عنيفة على العركيين وحلفائهم (عبد المجيد عابدين ، ص139- 131)، ونتج عن ذلك أن هاجر كثير من العركيين الذين يدخلون في مجموعة جهينة الآن إلى بلاد السودان، و سكنوا قرى الجزيرة بين النيلين الأبيض و الأزرق ، و قرى غرب السودان ، أي في دارفور وكردفان (عبد المجيد عابدين ، ص 150).

والمثال الآخر على قيام بعض القبائل العربية في مصر وهجرة بعضها إلى دارفور وبلاد السودان ، هو ما حدث أيضاً من نزاع بين هوارة و قبائل زناره وحلفائهم من بقية عرب البحيرة، في أواخر القرن

الرابع عشر للميلاد . وكان هؤلاء الهواوير يعيشون في منطقة تمتد من مديرية البحيرة، ومن الإسكندرية إلى مسافة بعيدة، تمتد نحو الغرب و الجنوب ، وظلوا مقيمين في هذه المناطق حتى قام النزاع بينهم وبين قبائل زنارة وحلفائهم ، مما أجبرهم على النزوح عن أوطانهم هذه إلى صعيد مصر ، فنزلوا بالأعمال الأخميمية في جرجا و ما حولها ، ثم قوي أمرهم، واشتد بأسهم، وكثر جمعهم؛ حتى انتشروا في معظم أنحاء الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص و إلى غربي الأعمال البهنساوية ، وصارت الإمرة لهم في تلك الجهات حتى عصر القلقشندي ، وامتد نفوذهم إلى مديرية قنا ، و هاجموا ثغر أسوان، وهزموا بنى كنز في عام 815هـ / 1412 م ، مما يدل على أن هذه القبيلة تقدمت جنوباً كذلك في أرض النوبة .

و لما زاد نفوذ الهواوير على هذا النحو في صعيد مصر وبلاد النوبة منذ منتصف القرن الرابع عشر للميلاد ، اضطرت حكومة المماليك إلى محاربتهم واخضاعهم ، فانتقل بعضهم إلى بلاد النوبة ، وهاجر آخرون إلى شمالي دارفور، بعيداً عن ضغط المماليك ، واشتغلوا هناك بالتجارة، وصاروا يعرفون باسم الهوارة الجلابة (محمد عوض 1951 ، ص249)،(مصطفى مسعد ، ص 181 ، 182).

العامل الثالث :

وثالث الأسباب السياسية التي أدت إلى زيادة تدفق العرب إلى السودان وبالتالي إلى دارفور ، هو السقوط النهائي لمملكة مقرة النوبية المسيحية في عام 723هـ / 1323م ، وقيام مملكة عربية إسلامية حلّتْ محلها في ذلك العام، عُرفت باسم دولة بنى كنز أو دولة الكنوز .

ولاشك أن قيام هذه الدولة واصطدامها بسلاطين المماليك الذين رفضوا الاعتراف بكنز الدولة ملكاً على بلاد النوبة لأنه عربي ، أدى إلى توقف البقط الذى كان يرسل كل عام من هذه البلاد إلى القاهرة ، حسبما جرت العادة بذلك منذ أن أبرمت معاهدة البقط بين والي مصر عبد الله ابن سعد بن أبى السرح عام 31هـ / 651 م وبين ملك النوبة ، مما أدى إلى اتساع هوة الأحقاد بين الفريقين (الشاطر عبد الجليل 1955، ص 64).

وترتب على ذلك أن ازداد ضغط سلاطين المماليك على عرب الصعيد وعرب بلاد النوبة عنفاً وشدة ، مما أجبر هؤلاء العرب إلى انحدارهم جنوباً في موجات متلاحقة . كانت أشد هذه الموجات أو هذه الهجرات عنفاً هي هجرة جهينة ، حيث ترتب عليها نشأة بعض المهاجر والمستوطنات العربية قرب سنار الحالية . و يبدو أن معاينة هذه الجماعات للمراعي الغنية ترامت أخبارها إلى ذويهم في الشمال أي في بلاد النوبة الشمالية ، فاندفعت جموعهم جنوباً (مصطفي مسعد ، ص78) ، وتحركت هجرات من فزارة وقبائل أخرى ناحية الجنوب .

ولما لم يكن لدى هذه القبائل الحرية الكاملة في الامتداد إلى أراضٍ أغنى في الجنوب نظراً لوجود مملكة علوة المسيحية، التي استمرت في الوجود حتى عام 910هـ / 1504م فقد اتجهت غرباً ووصلت قبائل جهينة بالذات إلى مناطق الاستبس في كرفان ودارفور؛ حيث استقروا فيها ، وواصلت بعض بطونها الزحف إلى واداي ، ومنها اتجهت غرباً بالشمال حتى وصلت بحيرة تشاد في القرن السادس عشر للميلاد رجب عبد الحليم : العروبة و الإسلام في دارفور في العصور الوسطي ، ص63 .

4- **العامل الرابع :**

وسبب سياسي رابع أدى إلى ازدياد الهجرة العربية إلى السودان ودارفور ، وهذا السبب هو سقوط بغداد في يد المغول عام 656هـ /1258م.

وقد تسبب هذا السقوط في هجرة كثير من العرب إلى السودان المرجع السابق

و تشير إحدى قوائم النسبة التي أوردها ماكمايكل أن جمعاً من قريش من ولد العباس بن عبد المطلب بن هاشم هاجروا إلى السودان، وكان هؤلاء المهاجرون من أولاد إبراهيم الهاشمي، الذى لقب بلقب (جعل) ، و منه جاء الجعليون المشهورون في السودان حتى اليوم ، والذين يقولون أن جدهم الأول الذى أتى إلى الودان كان يسمى غانم العباسي ، وكان قد هرب من بغداد بعد مهاجمة التتار لها في عام 656هـ /1258م ذكر ماكمايكل أن سقوط بغداد على يد التتار كان في عام 676هـ ، واتجه هو ومن كان معه من أقاربه إلى مصر حيث كان يحكمها سلاطين المماليك ذكر ماكمايكل أنهم وجدوا فيها الفاطميين ، انظر مرجع الهامش السابق .

ومن مصر اتجه غانم العباسي جد الجعليين هو وقومه إلى السودان؛ حيث هاجروا إليه، وأقاموا مساكنهم فيه ، واستقر بعضهم على سواحل النيل الأزرق ، وبعضهم على سواحل النيل الأبيض ، وبعضهم في دارفور ، واستمر وجودهم في الإقليم الأخير حتى عصر ماكمايكل ؛ حيث ورد ذكرهم في قوائم النسبة التي حصل عليها في هذا الإقليم . ومن دارفور انتشر بعض هؤلاء الوافدين من الجعليين العباسيين إلى برقو التي تعرف أيضاً باسم واداي ، حيث تقول الأسرة الحاكمة فيها بأنها من أصل عباسي ، وتقول رعيتهم من العرب أنهم من عرب اليمن من حِمير، ومن بارق بن عدي بن مازن ، بن الأزد، ولعل الاسم برقو الذى تعرف به هذه البلاد بجانب أسمائها الأخرى (التونسي ، ص 74)و ما هو إلا تحريف لكلمة بارق بن عدى الأزدي هذا. وعلى أية حال فقد هاجر بعض العرب إلى دارفور قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة و تكاثفت بعد القرن الثاني عشر ، وصارت سيلاً جارفاً ، ونهراً متدفقاً في القرن الرابع عشر للميلاد ، عقب سقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية في عام 723هـ /1323م ، واستقر هؤلاء العرب المهاجرون في هضاب جبل مرة وجبل سى si ، و هي هضاب

عظيمة كثيفة السكان ، ورحل بعضهم عربا ؛ حيث اشتركوا في الحرب الأهلية في مملكة الكانم في حوض بحيرة تشاد .

الخاتمة :

يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي :

1. نتج عن هذا العامل السياسي ،أن هاجرت الكثير من القبائل العربية سواء من مصر أو من بلاد شمال أفريقيا أو من غيرها من البلدان العربية ، و ذلك خلال أزمنة متفاوتة و عصور متعاقبة ، و اشتد ساعد هذه الهجرة، و بلغت الذروة في القرون الثلاثة الأخيرة من العهد الوسيط لأسباب عديدة خاصة بالعرب في بلادهم التي كانوا يقيمون فيها قبل رحيلهم منها إلى دارفور.
2. نتج أيضاً عن هذه الهجرة أن انفتح هذا الإقليم عن العروبة و الإسلام كل الانفتاح ، و تهيأ لذلك كل التهيؤ ، فانتشر فيه الإسلام، و تدفقت في عروق أبنائه الدماء العربية ، و بفعل المصاهرة و الاختلاط تحول أهله الأصليون مع المهاجرين إلى شعب واحد، يحمل صفة العروبة، و يدين بالإسلام ،ويشترك في الحياة الإسلامية، وينفعل بها كل الانفعال إلى الذروة مع قيام سلطة إسلامية فيه قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقليل.
3. نتج عن انتشار الإسلام على هذا النحو في إقليم دارفور ، تأسيس المساجد و المدارس من أجل نشر التعاليم الدينية، وتعليم القران الكريم ،فقد كان في كل بلدة مسجد أو أكثر لتعليم الكتابة و القراءة و القرآن ، و كان كل شيخ أو فقيه أو مدرس دين له مسجد صغير بجانب منزله ، حيث يؤم خمسة مصلين، و يعلم القرآن و علوم الدين . وبجانب المسجد خلوات للمجاورين، يعلمهم العلوم الشرعية .

المصادر :-

1 - ابن أياس 852- 930هـ / 1448- 1523م أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الجزء الأول القسم الأول والثاني ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة 1383هـ- 1963م.

2 - التونسي 1274هـ / 1955م محمد بن عمر تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق د. خليل محمود عساكر ، د. مصطفى محمد مسعد مراجعة د. محمد مصطفى زيادة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة 1385هـ 1965م

3 - الحسن بن محمد الوزان المعروف المعروف باسم ليو الأفريقي، وصف أفريقيا، جزاءان في مجلد ، ترجمة محمد صبحي ،محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة 1403هـ 1983م.

4 - ابن خلدون 808هـ 1405م عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ، 5،مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

5 - القلقشندي 821 1418م : أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا 14 مجلد ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، سلسلة ثراتنا ، بدون تاريخ .

6 - المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك ، 1،قس 3 ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،سنة 1957م .

الخطط المقريزية، 1،3، مطبعة النيل ، مصر سنة 1325هـ 1907م.

7 - النويري : نهاية الأرب في فتون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، معارف عامة 549، ورقة 96،97.

المراجع :-

1- سيرة إسماعيل الكاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، القاهرة ، سنا 1370هـ 1950م .

2- الشاطر بصيلي عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادي النيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة 1375هـ 1955م .

3- عبدالحميد عابدين : دراسات في تاريخ العروبة والإسلام ، ضمن تحقيقه لكتاب البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،سنة 1961م ص 15

4- رجب محمد عبد الحليم ، العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ،دار الثقافة 1991م.

5- محمد عوض محمد : .السودان الشمالي، سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة 1371هـ 1951م.

6- مصطفى محمد مسعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، الانجلو المصرية سنة 1380هـ 1960م

7- أحمد كاتب الشونة : مخطوط كاتب الشونة ، ورقا 127، ينسر تاريخ الأمة القبطية

8- كاتب الشونة : أحمد بن الحاج أبو على مخطوط كاتب الشونة .